أثر اختلاف تنوع القراءات القرآنية في التفسير
(إنموذجا سورة الحجر)
(دراسة تحليلية تطبيقية)

د زهرة شعبان سعيد المازني

مدرس قسم الكتاب والسنة

شعبة التفسير وعلوم القرآن، كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

الملخص:

يعد اختلاف تنوع القراءات ثروة غنية وكنزاً ثميناً بما يحويه من معانٍ ودلالات ذات آثار تشريعية قيمة في مجال التفسير ومن أهمها تعدد القراءات وأن هذه القراءات المتعددة ليست متناقضة بل هي متكاملة بعضها مع بعض، قد تعطي قراءة حكماً أو معنى في الحكم ما لا تعطيه أخرى، وقد تكون مؤكدة أو مبينة لأخرى، وقد يوجد معنى في قراءة دون قراءة وقد تزيل الإشكال من معانيها، وأيضاً قد تكون القراءات مخصصة لعموم الآية أو مقيدة لإطلاقها، وما إلى ذلك.

الكلمات الافتتاحية:

القراءات – سبعة أحرف – التفسير – تنوع القراءات – تزيل الإشكال

المقدمة:

نحمد الله سبحانه وتعالى على وافر فضله، وسابغ قوله، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد ﷺ صفوة المرسلين وإمام النبيين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد:

فإن الإنسان لا يشرف إلا بما يعرف ولا يفضل إلا بما يعقل، ولا يتحب إلا بمن يصحب، ولما كان القرآن العظيم أعظم كتاب أنزل، وكان المنزل عليه أفضل نبي، وكانت أمته أفضل الأمم، وكانت حملته خيار هذه الأمة وأشرفها لقوله ﷺ (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)(1)

فهذا هو القرآن الكريم، كلام الله تعالى، المنزَّل على سيدنا محمدﷺ بواسطة جبريل

(1) الصحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ج٤، ص١٩١٩، رقم ٤٧٣٩، ط/ دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ه، ١٩٨٧م.

عليه السلام، بلفظه، المتعبد بتلاوته، المعجز، المنقول بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس.

كان من بين العلوم على حُظيت بحظّ وافر من جهود العلماء علم التفسير، وما ذاك إلا لأن غاية علم التفسير ومقصده محاولة الوقوف على مراد الله من كلامه روماً للعمل به وتطبيق أحكامه، وجعله دستوراً يقود الأمّة إلى سبيل النّجاة في الدنيا والآخرة.

وتحقيقاً لهذا الغرض أخذ المفسرون أهم العلوم التي عنى بها علماء التفسير علم القراءات، لما لهذا العلم من أثر بالغ في التفسير بياناً وترجيحاً، إذ أدرك علماء التفسير أن لاختلاف القراءات أثراً في تنوع معاني الآيات القرآنية من جهة وأثراً في الترجيح بين الأقوال المستنبطة من الآيات من جهة أخرى.

لذا لا نكاد نجد كتاباً من كتب التفسير يخلو من توظيف القراءات القرآنية الكشف عن معاني الآيات القرآنية وهم في ذلك بين كثر ومقلّ، حتى عُدّ اختلاف القراءات القرآنية من أبرز أسباب اختلاف بين المفسّرين.

فهذه الدراسة عن القرآن الكريم دراسة شرف وكرم وهي من أهم العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم وهي تكون من ناحيتين: **الأولى**: تكون بمثابة مدخل للقراءات وما يتعلق بها، **والأخرى** تكون حول أثر اختلاف تنوع القراءات القرآنية في التفسير "أنموذجاً" سورة الحجر "دراسة تحليلية تطبيقية"

أولاً: موضوع البحث

إن اختلاف تنوع القراءات في تعدد الآية: الوحدة لا تخرج عن كونها اختلاف تنوع فيه الأساليب والأقوال دون أن تتعارض، وكان هذا البحث للوقوف على اختلاف القراءات

وتنوع القراءات القرآنية وأثرها على التفسير والنظر في تعدد أقوال المفسرين والجمع بين اختلافهم دفعاً للإبهام التعارض والتناقض بين وجوه القراءات.

ثانياً: أهداف البحث:

تكمن أهمية البحث فيما يأتي:

١- بيان أهمية اختلاف القراءات والحاجة الماسة إليها فهي مصدر مهم مصادر التفسير.

٢- بيان وجوه الإعجاز القرآني بمختلف نواحيه، عن طريق بيان معاني القراءات وكيف أنها رغم تنوعها لم تختلف اختلاف تضاد وتناقض مع كثرتها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ ()

٣- بيان معنى الآية التي قرئت بأكثر من وجه وتفسيرها، فيكون الباعث من ذلك التوضيح والإفهام.

ثالثاً: أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في أنها تتعلق بأمرين هامين هما:

أ- القراءات القرآنية.

ب- التفسير.

١- فهي توضح أثر اختلاف القراءات في التفسير والقراءة الصحيحة المتواترة، وما يعتمد منها في التفسير.

٢- أنها تحقق صورة من صور تفسير القرآن بالقرآن قد يغفل عنها أحياناً ومن هنا كانت أهمية دراسة هذا الموضوع للوقوف على أثر اختلاف تنوع القراءات القرآنية في التفسير.

() سورة النساء، الآية: ٨٢.

رابعاً: أسباب الاختيار:

١- حفظ الله لكتابه العزيز جاء على صور متعددة منها: تعدد القراءات في عدد من آيات القرآن الكريم وهذا أدى ذلك وقوع الخلاف بين المفسرين في تفسير عدد منها

٢- ومن هنا المنطلق عزمت الهمة للغوص في آيات الله أكثر لخدمته والنيل من محاسنه وسأتناول في هذا البحث بإذن الله تعالى عن أثر اختلاف تنوع القراءات القرآنية في التفسير "أنموذجاً" سورة الحجر. (دراسة تحليلية تطبيقية)

خامساً: الدراسات السابقة

البحث والإطلاع أن البحث لم يصل إلى علمنا أن أحداً تناول أثر اختلاف تنوع القراءات القرآنية، في التفسير "أنموذجاً" سورة الحجر، بشكل مستقل ولم أعثر على رسالة علمية متخصصة مستقلة تناولت موضوع بحثي

سادساً: منهج البحث

أما المنهج الذي اتبعته في هذا البحث معتمدة على المنهج الاستقرائي تارة والوصفي والتحليلي تارة أخرى...

سابعاً: خطة البحث:

أما بالنسبة لخطة البحث فقسمتها إلى سبعة مباحث وخاتمة ومحتويات البحث

أما المقدمة: فتحدثت فيها كما سبق عن أهمية البحث وأسباب اختياره وأهداف الدراسة والمنهج المتبع فيها وخطته.

المبحث الأول

القراءات وأهميتها

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[2]

فقد كان العرب الذين أنزل عليهم القرآن الكريم مختلفي اللهجات، متعددي اللغات، متنوعي الألسن، فأنزل الله تعالى كتابه على لهجات العرب ولغاتهم، ليتمكنوا من قراءته، وينتفعوا بما فيه من أحكام وشرائع، فلو كلف الله العرب مخالفة لغاتهم، التي لا يستقيم لسانهم إلا عليها، ولا يتيسر نطقهم إلا بها، فشق عليهم ذلك غاية المشقة، ولكان ذلك منافياً ليسر الإسلام وسماحته، التي تقتضي درء الحرج والمشقة عن معتنقيه.

وكان الرسول ﷺ يقرؤه بلهجات العرب، ليسهل على كل قبيلة تلاوته بما يوافق لهجتها، ويلائم لغتها.

وتلقى الصحابة من رسول الله ﷺ القرآن الكريم بقراءاته ورواياته، ونقله عن الصحابة التابعون، على هذا الوجه من الإحكام والإتقان، والتحرير والضبط، بدقة متناهية، ثم إن جماعة من التابعين وأتباع التابعين كرسوا حياتهم، وقصروا جهودهم على قراءة القرآن وإقرائه، وتعليمه وتلقيه، وضبط ألفاظه وتحرير قراءاته، وتحقيق رواياته حتى صاروا في ذلك

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(2) سورة الدخان، الآية: ٥٨.

أئمة يقتدى بهم، ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم.

فنسبت إليهم القراءة نسبة ملازمة ودوام وإجادة، لا نسبة اختراع وابتداع، حتى قيل: قراءة فلان كذا، وقراءة فلان كذا[1]، وقد نقلت عنهم الأمم المتعاقبة والأجيال المتلاحقة أمة بعد أمة إلى أن وصلت إلينا، ولن تزال الأمم ترويها، وتتناقلها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2]

ولهذه القراءات أهمية كبيرة، فلا يكاد يوجد علم من علوم العربية ولشريعة إلا وتعتبر القراءات رافداً من روافده الثرة، فهذا علم النحو وعلم الصرف، وهذه علوم البلاغة، وهذه كتب المعاجم اللغوية تشكل القرآن بقراءاته أصلاً أصيلاً وركناً ركيناً فيها[3]، وهل نهضت علوم العربية إلا بالقرآن وعلومه؟ قال القسطلاني: "لم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط، ومحجتهم في الاهتداء إلى سواء الصراط"[4].

---

(1) انظر: المرشد في علم التجويد، العقرباوي، زيدان محمود سلامة، ص١٦، عمان، دار العرفان، ١٤٢٠ه، ١٩٩٩.

(2) سورة الحجر، الآية: ٩.

(3) قد اهتم العلماء المتأخرون بإبراز هذا الأمر، وبيان أثر القراءات في العلوم فهناك، مصنفات في ذلك: مثل: أثر القراءات في الدراسات النحوية، للدكتور عبد العال سالم علي، والقراءات وأثرها في علوم العربية، للدكتور محمد سالم محسن، ودراسات في أسلوب القرآن الكريم، للدكتور محمد عبد الخالق عظيمة وما إلى ذلك.

(4) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشراً، الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، لبنان، ط/ دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٩ه، ١٩٩٨، ص٥.

المبحث الثاني

أثر القراءات في التفسير

والجدير بالذكر أنه لا بد هنا من التذكير بالقاعدة حول وجوب إعمال القراءات المتواترة جميعاً، وأن تعدد القراءات يُنَزَّل منزلة تعدد الآيات، وكلاهما قاعدة اتفاقية لا يوجد لها مخالف من أهل التوحيد، وإذا نقل عن بعض الأقدمين تشككهم في بعض الوجوه للقراءة المتواترة فإن مرد ذلك بكل تأكيد هو عدم ثبوت تواتر هذه القراءة عندهم في ذلك الزمان، أما وقد اتفقت الأمة على التواتر في هذه الوجوه، فلا مندوحة من القول بأن سائر هذه الوجوه قرآن منزل، بالإتفاق بين سائر أهل الملة.

وكذلك ينبغي القول بأن هذه الإختلافات ليست متناقضة بمعنى أن المفسر يلجأ إلى هدر أحد الوجهين إذا اعتمد الآخر، بل هذ ذات معان متضامنة يكمل بعضها بعضا، وقد يدل الوجه على ما لا يدل عليه أخوه، ولكنه لا ينافره ولا يضاده، بل يمنحك معنى جديداً يضيء لك سبيل التفسير، ثم إن هذه الوجوه أيضاً يسيرة وقليلة، ليست كثيرة[1].

(1) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، انظر: الحسن محمد، ص١٢١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤١٩ه، ١٩٩٩م.

المبحث الثالث

منزلة القراءات من التفسير

تتبين هذه المنزلة من خلال معرفة أفضل طرق التفسير، التي تنحصر في الطرق التالية:

الأول: تفسير القرآن بالقرآن والسنة.

الثاني: تفسير القرآن بقول الصحابي.

الثالث: تفسير القرآن بقول التابعي وبلغة العرب[1].

فالقراءات من جهة القبول تنقسم إلى قراءة مقبولة، ومردودة، ومتوقف فيها وهي القراءة الشاذة، وإذا كان كذلك فإن منزلة القراءات من التفسير تكون كالتالي:

أولاً: المعنى التفسيري الناتج عن اختلاف القراءات المقبولة هو من نوع تفسير القرآن بالقرآن.

ثانياً: أما القراءة المردودة فإنه لا محل لها في التفسير أصلا.

ثالثاً: أما المعنى التفسيري الناتج من القراءة الشاذة فإنه إن لم يكن من باب تفسير القرآن بالقرآن،لأننا لا نجزم بقرآنيتها ولا بعدمها- فإنه يكون من باب تفسير القرآن بقول الرسول ﷺ، أو على أدنى الأحوال من باب تفسير القرآن بقول الصحابي.

---

(1) انظر: مقدمة في أصول التفسير، الإمام ابن تيمية، ص٩٣، ١٠٥، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠ه/ ١٩٨٠م.

وهذا هو المرجح في المسألة[1].

المبحث الرابع

أقسام القراءات من جهة التفسير

ليس كل اختلاف في القراءات له أثر في التفسير، فإن للقراءات حالين

إحداهما: لا تعلق لها بالتفسير بحال.

الثانية: لها تعلق بالتفسير من جهات متفاوتة[2]

أما الأولى فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس والغنة والإخفاء، فهذه الاختلافات لا تأثير لها في اختلاف معاني الآي، وإن كان لها أثر من جهات أخرى غير التفسير مثل التخفيف على الأمة في النطق وبيان سعة اللغة.

أما الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات، وهو على نوعين:

أ- اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه.

ب-اختلاف اللفظ والمعنى، مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

---

(1) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد عمر بازمول، ج١، ص٣٧٦، ط/ دار الهجرة، الرياض، ط/ أولى، ١٩٩٦م.

(2) انظر: أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن، ص٤٢٨، ٤٢٩، دار النفائس، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.

فهذه الحال بنوعيها هي التي لها مزيد التعلق بالتفسير، لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد عن نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره، ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة[1].

المبحث الخامس

قواعد مهمة يتنبه لها أثناء دراسة أثر القراءات في التفسير

من الأشياء المهمة للذي يبحث في "أثر القراءات في التفسير" مراعاة القواعد التالية:

أ- الخلاف الواقع بين القراءات الصحيحة إنما هو من خلاف التنوع، لا من خلاف التضاد والتناقض.

ب-إضافة القراءة إلى المقرئ إنما هو إضافة اختيار واتباع، وليست إضافة رأي وابتداع.

ج- لا تفرقة بين القراءات الصحيحة المقبولة فكلها كلام الله تبارك وتعالى، وكلها قرآن، والمعاني التي تدل عليها كلها معاني قرآنية لا تفضيل بينها قال أبو جعفر النحاس، ت٣٣٨ه، هذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال: إحداهما أجود من الأخرى، كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلف معانيها[2].

د- القراءات الشاذة وهي كل قراءة صح سندها، وخالفت رسم المصحف، يستفاد منها في التفسير على أنها حديث صحيح أو خبر عن الصحابي فهي من باب تفسير القرآن بأقوال

---

(١) التحرير والتنوير من التفسير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ج١، ص٥١، ٥٦، وانظر: القراءات وأثرها في التفسير، بارمول، ج١، ص٣٨٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١١، ص٢٩١.

الصحابة مثل قراءة الاجتماع بقراءة ابن مسعود (متتابعان) في الاستدلال على وجوب تتابع الصوم في كفارة اليمين، إلا أنه لا تجوز القراءة بها في الصلاة[1].

هـ- القراءات المسندة في كتب الحديث، ولم تنتسب إلى أحد من أئمة الرواية، واصطلح على تسميتها، "قراءة النبي ﷺ"[2].

و- التفاسير الواردة عن السلف في تفسير الآيات الكريمة، ينبغي قبل الحكم باختلافها: النظر في كونها تفاسير للآية على قراءة دون قراءة، قال السيوطي: "من المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة، وذلك أنه قد يرد عنهم تفسيران في الآية الواحدة مختلفان، فيظن اختلافاً وليس باختلاف، وإنما كل تفسير على قراءة، وقد تعرض السلف لذلك..."[3].

نماذج على سبيل المثال لأثر القراءات في التفسير:

لقد كان للقراءات القرآنية متواترها وشاذها أثر كبير في التفسير بشتى أنواعه –أعنى أنواع كتب التفسير–، فهي منقسمة إلى أقسام عدة تبعاً للأغراض التي ألفها عليها مؤلفوها، فمنهم من جعل تفسيره لأحكام القرآن كابن العربي والقرطبي والجصاص، ومنهم من اهتم باللغة كأبي حيان وأبي السعود، ومنهم من اهتم بتفسير القرآن تفسيراً عاماً يشمل المعاني والأحكام واللغة، وهذا القسم هو الغالب على كتب التفسير.

---

(1) انظر: نفس المرجع السابق، ج١٤، ص٢٩١-٢٩٢.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ج١، ص٥٤-٥٥.

(3) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج٤، ص١٩٣.

إن المفسرين رحمهم الله تعالى أدركوا أن القراءات القرآنية متواترة كانت أم شاذة، تعطي للآيات القرآنية معاني جديدة، وقد تعاملوا مع هذه القراءات وكأنها آية مستقلة حتى قيل: إن كل قراءة آية مستقلة من حيث دلالتها على المعنى[1].

قال صاحب "علم القراءات وأثره في العلوم الشرعية" ولعلنا نستطيع أن نقول أن الحكمة من القراءات إثراء المعاني القرآنية، وليس فقط التيسير على القراء من هذه الأمة[2]

ونظراً لتشعب هذا الموضوع "أثر القراءات في التفسير" فإننا سنتقتصر على ذكر بعض النماذج ليتبين أثر القراءات، متواترة أم شاذة، على التفسير من حيث المعاني

النموذج الأول: عند قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[3]

في تفسير هذه الآية يعرض الإمام أبو بكر بن العربي في تفسيره معاني مختلفة متعددة لقوله تعالى: (أمرنا) عند معرض حديثه عن القراءات الواردة في هذه الكلمة، مما يبين أثر القراءات على التفسير من حيث تعدد المعاني قال: "فيها من القراءات ثلاث: **القراءة الأولى**: أمرنا بتخفيف الميم، **القراءة الثانية**: بتشديدها، **القراءة الثالثة**: آمرنا بمد بعد الهمزة وتخفيف الميم،

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٣، ص٣٩١.

(2) انظر: علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، آل إسماعيل نبيل بن محمد إبراهيم، ص٣٥٦، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢١ه، ٢٠٠٠م.

(3) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

فأما القراءة الأولى فهي المشـهورة[1] ومعناها: أمرناهم بالعدل فخالفوا ففسـقوا بالقضـاء والقدر، فهلكوا بالكلمة السابقة الحاقة عليهم.

وأما القراءة الثانية (بتشـديد الميم) فهي قراءة علي وأبي العالية وأبي عمرو وأبي عثمان النهدي، ومعناها: كثرناهم، والكثرة إلى التخليط أقرب عادة.

وأما القراءة الثالثة (وهي بالمد في الهمزة وتخفيف الميم) فهي قراءة الحسـن والأعرج وخارجة عن نافع، ومعناها: الكثرة، فإن أفعل وفعَّل نظيران في التصريف من مشكاة واحدة، ويحتمل أن يكون من الإمارة، أي جعلناهم أمراء، فإما أن يريد من جعلهم ولاة فيلزمهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقصرـون فيهلكون، وإما أن يكون من أن كل من ملك داراً وعيالاً وخادماً فهو ملك وأمير، فإذا صـلحت أحوالهم أقبلوا على الدنيا وآثروها على الآخرة فهلكوا[2].

وهكذا نرى من هذا المثال كيف بين ابن العربي معاني كل قراءة على حدة فتعددت بذلك معاني الآية مما يثري التفسير ويكثر مادته العلمية[3].

النموذج الثاني: عند قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ

---

(1) المنتشر في القراءات العشر، ابن الجزري، المرجع السابق، ج٢، ص٣٠٦.

(2) أحكام القرآن، ابن العربي محمد بن عبد الله، ج١، ص٢٠١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م، معجم القراءات القرآنية، مكرم عبد العال سالم، وغيره، ج٣، ص٣١٣.

(3) علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، آل إسماعيل، مرجع سابق، ص٣٥٧.

جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [1]

يقول ابن عطية رحمه الله في تفسيره (المحرر الوجيز) مبيناً تعدد المعاني في تفسير الآية بناء على تعدد القراءات في اللفظ: "ولو ترى الذين ظلموا" قرأ نافع وابن عامر "ترى" بالتاء من فوق، و"أن" بفتح الألف و"أن" الأخرى كذلك عطف على الأولى، وتقدير ذلك: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم للعذاب وفزعهم منه واستعطامهم له لأقروا أن القوة لله، فالجواب مضمر على هذا النحو من المعنى وهو العامل في "أن".

وتقدير آخر: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم للعذاب وفزعهم منه لعلمت أن القوة لله جميعاً، وقد كان النبي ﷺ علم ذلك، ولكن خوطب والمراد أمته، فإن فيهم من يحتاج إلى تقوية علمه بمشاهدة مثل هذا.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن كثير "يرى" بالياء من أسفل وفتح الألف من "أن" وتأويله:" ولو يرى في الدنيا الذين ظلموا حالهم في الآخر إذ يرون العذاب لعلموا أن القوة لله جميعاً.

وتأويل آخر: روى عن المبرد والأخفش: ولو يرى بمعنى يعلم الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً لا ستعظموا ما حل بهم فـ "يرى" عامل في "أن" و سدت م سد المفعولين[2].

---

(1) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(2) المحرر الوجيز في تف سير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندل سي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي، ج٢، ص٣٨، لبنان، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤١٣ه/ ١٩٩٣، النشر في القراءات، الجزري، ج٢، ص٣٠٦.

المبحث السادس

ضوابط ومقاييس القراءة الصحيحة

لكى تكون القراءة صحيحة لابد من توافر ثلاثة شروط أجمع عليها علماء هذا الفن[1] فإذا نقص شرط منه انتفت الصحة عن القراءة، وكانت غير صحيحة وبهذه الشروط تتميز القراءة الصحيحة من الشاذة، وكأن العلماء يقولون: إن بهذه الشروط يحكم على قراءة ما أنها قرآنية، أو يحكم بقرآنيتها، وهذه الأركان أشار إليها الإمام ابن الجزري رحمه الله في (طيبة النشر) بقوله: المتأخرين التواتر في هذا الركن، ولم يكتف فيه بصحة الإسناد، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به القرآن.

فهذه القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، فإذا سقط ركن من هذه الأركان أصبحت القراءة الشاذة لا يعتد بها في مجال القراءة[2](وإن كان يعتد بها في مجال اللغة)[3].

وخلاصة القول أن كل قراءة اجتمعت فيها الأركان الثلاثة المتقدمة موافقة وجه ما

---

(1) انظر: كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ومناهل العرفان، للزركلي، ومباحث في علوم القرآن، للقطان، والاختلاف بين القراءات، للبيلي، والوجيز في علوم القرآن، العزيز للمجالي.

(2) انظر: الإتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، مرجع سابق، ج١، ص٧٥، ومعجم القراءات القرآنية، أحمد مختار عمرو عبد العال سالم مكي، ج١، ص١١١.

(3) ينظر: معجم القراءات القرآنية، أحمد مختار عمرو عبد العال سالم مكرم، مرجع سابق، ج١، ص١١١، وانظر: الإحكام في أصول الأحكام، للأمدي، ج٢، ص١٥١.

من أوجه اللغة العربية ولو احتمالا، وموافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، وصح إسنادها أو تواترها، صح قبولها، لأنها أبعاض القرآن وأجزائه فهي من باب تفسير القرآن بالقرآن إذ تنوعها يغني عن تعدد الآيات وهي درب من دروب البلاغة ومن أمثلتها: ادّارك وأدرك كِبْرَهُ فرضناها وفرَّضناها ونحو ذلك من القراءات، وكفر من ينكرها، فهي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، سواء كانت هذه القراءة منقولة عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المتقدمين والمقبولين.

وأن كل قراءة لم تتوافر فيها هذه الأركان الثلاثة حكم بردها سواء كانت هذه القراءة مروية عن الأئمة السبعة أو غيرهم.

المبحث السابع

الوقوف على اختلاف القراءات القرآنية في التفسير من خلال "سورة الحجر"

الأول: الاختلاف في: ﴿ رُّبَمَا ﴾ من قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ (١)

أولاً: أوجه الاختلاف القراءات:

اختلفوا في تشديد الباء وتخفيفها من قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا ﴾ فقرأ ابن كثير(٢) وأبو

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢.

(٢) عبد الله بن كثير إمام أهل مكة ولد سنة ٤٥هـ، وتوفى بها سنة ١٢٠ه، وأشهر رواته: قليل محمد بن عبد الرحمن المتوفي بمكة، سنة ٢٨٠ه، والبزي أحمد بن محمد بن أبي بزة المكي المتوفي بمكة سنة ٢٤٠هـ.

عمرو[1]، وابن عامر[2] وحمزة[3] والكسائي[4] بالتشديد (رُبَّما)[5] وقرأ عاصم[6] ونافع[7]: ﴿ رُّبَمَا ﴾ بالتخفيف وإنما قرئت بالتخفيف لما فيها من التضعيف والحروف المضاعفة قد تحذف: نحو: (إنَّ)، و(لكنَّ) فإنهم قد خففوها.

وعن علي بن نصر قال: سمعت أبا عمرو يقرؤها على الوجهين جميعاً، (التشديد والتخفيف)[8] وهما لغتان:

قال أبو حاتم[9]: تميم وقيس وربيعة يثقلونها: (ربما)، وأهل الحجاز يخففونها: (رُبَمَا)

---

1) أبو عمرو بن العلاء ولد بمكة سنة ٦٨ه، وهو إمام أهل البصرة، توفى بالكوفة سنة ١٥٤هـ، وأشهر رواته: الدوري المتوفي سنة ٢٤٦ه، والسوسي، المتوفى سنة ٢٦١ه.

2) عبد الله بن عامر اليحصبي ولد سنة ٢١ ه، وهو إمام أهل القراءة في الشام، توفى بدمشق سنة ١١٨هـ، وأشهر رواته: هشام بن عمار المتوفى سنة ٢٤٥هـ، وعبد الله بن أحمد ذكران، المتوفى سنة ٢٤٢هـ.

3) حمزة بن حبيب الزيات ولد سنة ٨٠هـ، من أئمة أهل الكوفة، توفى سنة ١٥٦هـ، وأشهر رواته: خلف بن هشام المتوفى سنة ٢٢٩هـ، وخلاد خالد بن يزيد الكوفي المتوفى سنة ٢٢٠هـ.

4) علي بن حمزة الكسائي ولد سنة ١١٩، من أئمة أهل الكوفة أيضاً، توفى سنة ١٨٩ه، وأشهر رواته: حفص بن عمر النوري المتوفى سنة ٢٤٦هـ، وأبو الحارث الليث بن خالد المتوفى سنة ٢٤٠هـ، وهو أحد أئمة اللغة.

5) أبو بكر عاصم بن أبي النجود إمام أهل الكوفة توفى سنة ١٢٧ه، وأشهر رواته: أبو بكر الأسدي، شعبة بن عياش الكوفي المتوفي سنة ١٩٣ه، وحفص بن سليمان الكوفي المتوفى ١٩٠هـ.

6) أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ولد سنة ٧٠ه، وهو إمام دار الهجرة (المدينة) توفي سنة ١٦٩ه، وأشهر رواته: عيسى بن مينا الملقب بقالون المتوفى سنة ٢٢٠ه، وعثمان بن سعيد المصري الملقب بورش، المتوفي سنة ١٩٧ه.

7) انظر: كتاب السبعة في القراءات، ص٣٣٦، والكشف: ٢/ ٢٩، والنشر في القراءات العشر: ٢/ ٢٢٦.

8) أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي، حافظ للحديث، من أقران البخاري ومسلم، ولد

قال الكسائي[1]: والأصل التشديد، لأنك لو صغرت (رُبَّما) لقلت: (رُبَيِّب)، فرددت إلى أصله[2].

وحكى فيها ست عشرة لغة، بضم الراء وفتحها، وكلاهما مع التشديد والتخفيف، والأوجه الأربعة هذه مع تاء التأنيث ساكنة أو محركة، ومع التجرد منها، فهذه اثنتا عشرة، والضم والفتح مع إسكان الباء وضم الحرفين، مع التشديد ومع التخفيف[3].

و(رُبَّ) على كثرة وقوعها في كلام العرب لم تقع في القرآن الكريم إلا في هذه الآية[4].

ثانياً: التفسير: المعاني التفسيرية:

الوُّد: التمني، وهو تقدير المعنى في النفس للا ستمتاع، وإظهار ميل الطباع إليه، وفيه اشتراك بين التمنِّي والحُب[5].

واختلف المفسرون متى يقع هذا الودُّ من الكفار على مذهبين، أحدهما: أنه في الآخرة، ومتى يكون ذلك؟ فيه ثلاثة أقوال:

في الري سنة ١٩٥ه، وإليها نسبته، وتنقل بين العراق والشام ومصر وبلاد الروم، وتوفى ببغداد سنة ٢٧٧هـ، انظر: تاريخ بغداد، ٢/ ٧٣، والأعلام: ٦/ ٢٧.

(١) أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة ولد في ناحية من قرأها، وتعلم بها، وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفى بالري سنة ١٨٩هـ، عن سبعين سنة، وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين، انظر: غاية النهاية، ١/ ٥٣٥، وإنباه الرواة، ٢/ ٢٥٦، والأعلام، ٤/ ٢٨٣.

(٢) انظر: حجة القراءات، ص٣٨٠.

(٣) انظر: مغنى اللبيب، جمال الدين الأنصاري، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ١/ ٢٣١.

(٤) انظر: روح المعاني، الألوسي، ١٤/ ٤.

(٥) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين الإيقاعي، ١١/ ١٤.

القول الأول: أنه حين يخرج الله عصاه المؤمنين من النار، عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ (إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار المسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلي، قالوا: فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا، فأمر بكل من كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك من بقى من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [1] وإليه ذهب ابن عباس في رواية، وأنس بن مالك ومجاهد [2] وعطاء [3] وأبو العالية وإبراهيم النخعي [4] وهو المشهور من أقوال أكثر المفسرين [5].

القول الثاني: أنه كلما رأى الكافر حالاً من أحوال العذاب، ورأى حالاً من أحوال

---

(1) سورة الحجر، الآية: ٢.

(2) أخرجه الحاكم وصححه، انظر: المستدرك للحاكم، ٢/ ٢٤٢، وجامع البيان، ١٤/ ٢، والدر المنثور، ٤/ ٩٢.

(3) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، مولي قيس بن السائب المخزومي، تابعي مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، يقال إنه مات سنة ١٠٤هـ، وهو ساجد، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة بمكة، انظر: غاية النهاية، ٢/ ٤٢، ميزان الاعتدال، ٣/ ٩، والأعلام، ٥/ ٢٧٨.

(4) أبو محمد المكي عطاء بن أسلم بن صفوان بن أبي رباح القرشي، الفهري بالولاء، مفتى أهل مكة ومحدثهم، وتابعي من أجلاء الفقهاء، ولد في الجند باليمن سنة ٢٧هـ، ونشأ بمكة، وتوفى فيها سنة ١١٤ه، ميزان الاعتدال، ٣/ ٧٠٣، وتذكرة الحفاظ، ١/ ٩٨، والأعلام، ٤/ ٢٣٥.

(5) أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي الكوفي الفقيه، من مذحج اليمن، ومن كبار التابعين، ولد سنة ٤٦ هـ، ومات سنة ٩٦ه، انظر: تقريب التهذيب، ١/ ٤٦، رقم ٣٠١، وتذكرة الحفاظ، ١/ ٧٠، والأعلام، ١/ ٧٦.

المسلم ودَّ لو كان مسلماً، ذكره الزجاج، ورجَّحه الفخر الرازي في تفسيره[1].

القول الثالث: أنه كلما رأي الكافر حالاً من أحوال العذاب، ورأى حالاً من أحوال المسلم ود لو كان مسلماً ذكره الزجاج، ورجحه الفخر الرازي في تفسيره[2].

القول الثالث: عند الشفاعة ودخول الجنة، عن حميد عن عطاء عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ما يزال الله يبارك وتعالى يشفع ويدخل الجنة ويشفع ويرحم حتى يقول: من كان مسلماً فليدخل الجنة، فذلك قوله: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾[3]

والمذهب الثاني: أنه في الدنيا، وذلك إذا عاينوا العذاب وقت الموت، وتبين لهم الضلال من الهدى، وعلموا مصيرهم، ودوا ذلك، ولكن لا ينفعهم ذلك الود والتمني قاله الضحاك[4].

---

(1) انظر: تفسير مجاهد، ص٣٣٩، وجامع البيان، ١٤/ ٢، وتفسير الخازن، ٣/ ٨٨، والدرر المنثور، ٤/ ٩٢، وزاد الميسر، ٤/ ٢٩٠.

(2) انظر: التفسير الكبير، للرازي، ١٩/ ١٥٨، ومعاني القرآن وإعرابه، ٣/ ١٧٢.

(3) أخرجه الطبري من طريق أبي عوانة، حدثنا عطاء به نحوه، وأخرجه الحاكم بسنده عن جرير عن عطاء به نحوه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، انظر: المستدرك: ٢/ ٣٢٣، وجامع البيان: ١٤/ ٣، وفتح القدير: ٣/ ١٢٤، والدرر المنثور: ٢/ ٩٤.

(4) انظر: التفسير الكبير للرازي، ١٩/ ١٥٨، وفتح القدير، ٣/ ١٢٤، وتفسير الخازن، ٣/ ٨٨، وزاد المسير، ٤/ ٢٩٠.

ثالثاً: توجيه القراءات:

صوَّب شيخ المفسرين ابن جرير الطبري[1] القراءتين معاً، إذ هما مشهورتان، ولغتان معروفتان عند العرب، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب[2].

ووجَّه ابن خالوية[3] في تمييزه للقراءتين فقال: الحُجَّة لمن خفَّف أن الأَصل عنده باءان، أُدغمت إحداهما في الأخرى، فأسقط واحدة تخفيفاً. والحُجَّة لمن شدَّد أنه أتى بلفظها على الأصل، وهي أكثر استعمالاً، وأعمُّ انتشاراً قال الشاعر[4]

يا رُبَّ سار بات لن يُوسَّدا تحت ذراع العنس أو كفَّ اليدا[5]

---

(1) الإمام العلم شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الأملي، ولد في أمل سنة ٢٢٤ه، وهو مفسر، ومؤرخ، وفقيه بلغ رتبة الاجتهاد، وانظر: تاريخ بغداد، ٢/ ١٦٢، وطبقات الشافعية الكبرى، ١/ ٦٣، والأعلام، ٦/ ١٩.

(2) انظر: جامع البيان، ١٤/ ١.

(3) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالوية بن حمدان، نشأ في همذان، ثم وفد إلى بغداد ليتلقى عن شيوخها، انظر: بغية الوعاة، ١/ ٥٢٩، وغاية النهاية، ١/ ٢٣٧.

(4) لم اهتد لقائل هذا البيت، وقد ورد البيت في الدرر اللوامع:

يا رب سار بات ما توسدا إلا ذراع العنس أو كفّ اليدا

والعنس: الناقة الصلبة وفي رواية العيس جمع عيساء، وهي الإبل التي يخالط بياضها شيء من الشقرة، انظر: الدرر اللوامع، ١/ ١٢، وحاشية الصبان، ١/ ٣٧، وشرح المفصل، ٤/ ١٥٢.

(5) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص٢٠٤.

الخاتمة :

بعد هذه المرحلة المباركة من الآيات الكريمات، وهذا الموضوع الماتع، المتواضع خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات أهمها:

أولاً: النتائج:

١- أن حقيقة الاختلاف بين القراءات القرآنية إنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، ويعد هذا مظهراً من مظاهر الإعجاز لهذا الكتاب المبارك

٢- للقراءات القرآنية أثر بالغ في تنوع المعاني التفسيرية، وتعددها وثرائها.

٣- يعد اختلاف القراءات القرآنية من أبرز أسباب الاختلاف بين المفسرين

٤- لا يلزم من كل اختلاف بين القراءتين أن يكون له أثر على التفسير، كما هو الحال في اختلاف القراءات المتعلقة بالتفخيم والترقيق، والهمز، والإمالة ونحوها.

٥- لعلماء التفسير إسهام كبير، وجهد مبارك في الكشف عن وجوه المعاني المختلفة الناشئة من اختلاف القراءات القرآنية.

ثانياً: التوصيات:

أولاً: يجب العناية بالدراسات القرآنية وتوليها أشدّ الاهتمام، لأنها علم يهتم بالقرآن الكريم

ثانياً: لابد من تدبر حكمة الله في اختلاف القراءات، وشكر على هذه النعمة العظيمة

وختاماً أرجو أن يكون عملي هذا خالصاً مخلصاً لوجهه الكريم، أنه ولي الخيرات والحسنات، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين